

الكشاف

" أهل المدينة " أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة " فلا تفضحون " بفضيحة ضيفي لأن من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم " ولا تخزون " ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان . أو ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء " عن العالمين " عن أن تجير منهم أحدا أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان يقوم A بالنهي عن المنكر والحجر بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا : لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين . وقيل : عن ضيافة الناس وإنزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحدا قط " هؤلاء بناتي " إشارة إلى النساء لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونسأؤهم بناته فكأنه قال لهم : هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم " إن كنتم فاعلين " شك في قبولهم لقوله كأنه قال : إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون . وقيل : إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم " لعمرك " على إرادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه السلام : لعمرك " إنهم لفي سكرتهم " أي غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات " يعمهون " يتحIRON فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك وقيل : الخطاب لرسول الله A وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره : لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل . في قولك : يا . وقرئ : في سكرهم وفي سكراتهم " الصيحة " صيحة جبريل عليه السلام " مشرقين " داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس " من سجيل " قيل : من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى : " حجارة من طين مسومة عند ربك " الذاريات : 33 - 34 ، أي معلمة بكتاب " للمتوسمين " للمتفرسين المتأملين . وحقيقة المتوسمين النظائر المثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء . يقال : توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه فيه . والضمير في " عاليها سافلها " لقرئ قوم لوط " وإنها " وإن هذه القرى يعني آثارها " لسبيل مقيم " ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله : " وإنكم لتمرون عليهم مصبحين " الصافات : 137 .

" وإن كان أصحاب الأيكة لطالمين فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين " .

" أصحاب الأيكة " قوم شعيب " وإنهما " يعني قرى قوم لوط والأيكة . وقيل : الضمير للأيكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا إليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما "

لبإمام مبین " لبطریق واضح والإمام اسم لما یؤتم به فسمی به الطریق ومطمر البناء واللوح الذي یكتب فیہ لأنها مما یؤتم به .

" ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلین وآتیناهم آیاتنا فكانوا عنها معرضین وكانوا ینحتون من الجبال بیوتا آمنین فأخذتهم الصیحة مصبحین فما أغنى عنهم ما كانوا یكسبون " .
" أصحاب الحجر " ثمود والحجر وادیهم وهو بین المدینة والشأم " المرسلین " یعنی بتكذیبهم صالحا لأن من كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جمیعا أو أراد صالحا ومن معه من المؤمنین كما قیل : الخبیبون فی ابن الزبیر وأصحابه . وعن جابر : مررنا مع النبی A على الحجر فقال لنا " لا تدخلوا مساكن الذین ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باکین حذرا أن یصیبکم . مثل ما أصاب هؤلاء " ثم زجر النبی A راحلته فأسرع حتی خلفها " " آمنین " لوثاقه البیوت واستحکامها من أن تتهدم ویتداعی بنیانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر . أو آمنین من عذاب الله ینحسبون أن الجبال تحمیهم منه " ما كانوا یكسبون " من بناء البیوت الوثیقة والأموال والعدد .

" وما خلقنا السموات والأرض وما بینهما إلا بالحق وإن الساعة لآتیه فاصفح الصفح الجمیل

"